## «الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلًا»[1]

(لو ١٨: ٧)

**للأب متى المسكين**

الصراخ جزء هام في حياة الإنسان العائش مع الله، إنه صراخ الجبلة لجابلها، لكي يُغيِّر الله ما يشتهي تغييره فيها.

ليس بالأمر الهَيِّن أن نلبسَ الجديدَ ونخلعَ العتيق. فنحن نحتاج لصراخ متواصل لكي ننال الروح القدس ولكي يرتفع عنَّا ثقل الإنسان العتيق. هذا الصراخ المتواصل هو جزء هام في عشرتنا مع الله.

ولكن نحن لا نستطيع أن ننال شيئًا طالما نحن سلبيين وغير مُتفاعلين. لو أنك وضعت كبريتًا مع برادة حديد لا يحدث شيءٌ، ولكن لو أضفت عاملًا مساعدًا مثل النار، حينئذ يحدث تفاعل شديد، وينتج شيءٌ آخر ومادة أخرى. لا يمكن أن تنفعل الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية إلَّا بعامل آخر، هذا العامل هو اللجاجة والصراخ. الرب يريدنا أن نصرخ إليه، يريدنا أن نصلِّي بلا انقطاع، نصلِّي ولا نمل، نسهر دائمًا. صلاة الصراخ هي الطريق الوحيد لإثبات رغبتنا إليه وأشواقنا نحو الله. إن الطبيعة البشرية تميل إلى السقوط والهبوط نحو الأرضيات، ولكن بالصلاة الدائمة والصراخ المستمر تتقدَّم أشواقنا نحوه.

الرب أظهر لنا هذا السر العجيب في مَثَل القاضي الذي أنصف الأرملة التي كانت تصرخ نحوه: «أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي» (لو ١٨: ٣)، وهو أنصفها من أجل لجاجتها. وهكذا أبونا السماوي يريدنا أن نصرخ إليه. ولكن أبانا السماوي ليس مثل القاضي الظالم، لكنه يريد أن يُنصفنا من خصمنا سريعًا، ولكن بسبب ضعف طبيعتنا المائلة للسقوط، فنحن في حاجة شديدة إلى الاستمرار في الصلوات والصراخ الدائم لذلك يتمهَّل علينا.

لاحظ أن الصراخ أقوى من الصلاة. ولكن الصراخ الدائم لا يمكن أن نستمر فيه إلَّا بالروح القدس، لأن الروح هو الذي يصرخ فينا: «ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ

(١) من سلسلة كلمات للأب متى المسكين ألقاها على الرهبان في وادي الريان في الفترة من سنة ١٩٦١ إلى ١٩٦٩.

إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: يَا أَبَا الآبُ» (غل ٤: ٦) وهو الذي يجعلنا نصرخ: «بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الآبُ» (رو ٨: ١٥). إن الروح القدس حلَّ فينا في المعمودية، وأخذناه مجانًا، كهبة وعطية من الله فصار لنا إمكانية الصراخ إلى الله بلا انقطاع. فنحن الآن بلا عذر إذا ما قصَّرنا في صلاتنا وصراخنا.

الشخص الذي سلَّم حياته للروح القدس، هو الذي ينال معونته في الصلاة والصراخ الدائم. عندما تتقد بالغيرة وتصرخ بحرارة إلى الله، حينئذ سوف تدرك أن الروح القدس عامل فيك. ولكنك ستظل باردًا، حياتك الروحية ميِّتة، الروح القدس غير عامل فيك، إلى أن تأكلك نار غيرة الرب.

مَنْ الذي يصرخ؟ الذي يصرخ هو إنسان إمَّا يطلب شيئًا ضروريًّا أو أنه في حالة جنون! "مختارو الله"، "الصارخين إليه نهارًا وليلًا" ليس لهم طلبة أو توسُّل بل صراخ. صراخ المختارين ما هو إلَّا مسألة ذبح. الصراخ من الداخل أشد وأمرَّ من الصراخ من الخارج! إنه صراخ إنسان وصل إلى أعماق الجحيم وأحسَّ بالهلاك الكامن في داخله. فهو يموت عن ذاته، يموت عن إنسانه العتيق ليحيا فيه الإنسان الجديد، إنه يموت عن حياة جسدانية لحياة روحانية جديدة في المسيح يسوع.

الطبيعة الإنسانية تتغيَّر بالصراخ، كل نسمة تتغيَّر، كل هوًى أرضي يأخذ ضدَّه، العداوة تصير محبة، القلب النابض بالأفكار الشريرة يصير قلبًا ينبض بالصراخ الدائم إلى الله. تتغيَّر الصفات الميِّتة لصفات حيَّة ... والعجيب في كل هذا أنه يوجد أمان في هذه العملية، كالبنج في العملية الجراحية.

إنه صراخ تضج له السماء، والإنسان يُعطَى معوناتٍ وقوَّاتٍ سمائية تُعينه.

يوجد ساهر قدوس يُعين الإنسان إلى أن يتم التغيير، ولا يفارق ملاك الرب الإنسان، فالرب يسوع عندما صرخ في الصلاة، جاء ملاك ليُقوِّيه، فهذا هو قانون السماء.

لذلك فإن هذا الصراخ تعينه الملائكة لكي ما يصير الإنسان جبلة جديدة. الإنسان هنا عظيم ومكرَّم في أعين الملائكة لأنه يعمل عملية تَحَوُّل وخلق، هي طلقات مخاض!

❖✚❖